- ٥٦ -

مَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَد

رضيَ اللهُ عنهما

مُقَدِّمَةٌ

لَمْ يُبْرِزِ التَّارِيخُ كُلَّ رِجَالَاتِ الإِسْلَامِ رَغْمَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ أُمَّةً وَحْدَهُ فِي إِيمَانِهِ، فِي رُجُولَتِهِ، فِي صَبْرِهِ، وَلَكِنَّ التَّارِيخَ خَصَّ أَفْرَاداً دُونَ غَيْرِهِمْ نَتِيجَةَ المَرْحَلَةِ الَّتِي عَاشُوا فِيهَا، مَعَ العِلْمِ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ بَيْنَهُمْ مَنْ يُرِيدُ الشُّهْرَةَ أَوْ يَعْمَلُ لَهَا، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً يَعْمَلُونَ لِلَّهِ، وَيَرْجُونَ أَنْ يَكُونَ العَمَلُ خَالِصاً لَهُ.

أَوَّلًا: فِي مَرْحَلَةِ بِدْءِ الدَّعْوَةِ يُبْرِزُ التَّارِيخُ عَادَةً ثَلَاثَةَ عَنَاصِرَ وَهِيَ:

١ ـ الَّتِي تَقِفُ بِجَانِبِ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ بِصَلَابَةٍ لَا تُكْسَرُ وَقَنَاةٍ لَا تَلِينُ، أَمْثَالِ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَالحَمْزَةِ وَأَكْثَرِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَذَاكَ.

٢ ـ الَّتِي تُنْفِقُ جُلَّ مَالِهَا فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ أَمْثَالِ: أبي بَكْرٍ، وَعُثْمَانَ، وَعَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ.

٣ ـ الَّتِي تَتَحَمَّلُ الأَذَى الشَّدِيدَ، وَتَصْبِرُ، وَتَبْقَى عُنْوَانَ الصَّبْرِ أَمْثَالِ: بِلَالٍ، وَعَمَّارٍ، وَسُمَيَّةَ.

وَقَدْ ظَهَرَتْ هَذِهِ العَنَاصِرُ فِي مَرْحَلَةِ بِدْءِ الدَّعْوَةِ عَلَى غَيْرِهَا وَلَمْ يَبْرُزْ مِنَ الآخَرِينَ إِلَّا مَا كَانَ بِسَبَبِ هِجْـرَةٍ كَجَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، أَوْ سَبْقٍ كَعَلِيٍّ وَزَيْدٍ، أَوْ لِحَـادِثَةٍ خَـاصَّةٍ كَعُثْمَـانَ بـنَ مَظْعُونٍ.

ثَانِياً: أَمَّا فِي مَرْحَلَةِ تَأْسِيسِ الدَّوْلَـةِ وَالصِّرَاعِ مَـعَ الأَعْدَاءِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلَ اللَّهِ فَتَبْرُزُ أَرْبَعَةُ عَنَاصِرَ، وَهِيَ:

١ ـ الأَشِدَّاءُ الَّذِينَ يَقِفُونَ فِي وَجْهِ العَدُوِّ وَيَصُدُّونَهُ، وَيَكِيلُونَ لَهُ الضَّرَبَاتِ، سَوَاءُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَقِفُونَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، كَالجِبَـالِ الرَّوَاسِي يَحْمُـونَهُ بِـأَنْفُسِهِمْ، وَيَدْفَعُـونَ عَنْهُ بِصُـدُورِهِمْ، وَيَتَلَقَّوْنَ الضَّـرَبَاتِ المُسَـدَّدَةَ إِلَيْهِ بِنُحُـورِهِمْ أَمْثَـالِ: أَبِي بَكْـرٍ، وَعُمَـرَ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَعَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، وَأَبِي دُجَانَةَ وَطَلْحَـةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَنُسَيبَـةَ بِنْتِ كَعْبٍ أَمْ أُولَئِـكَ الَّـذِينَ يَجُولُونَ فِي سَاحَةِ المَعْرَكَةِ يَصْـرَعُونَ الأَبْـطَالَ، وَيُجَنْدِلُـونَ الرِّجَالَ، أَمْثَالِ: الحَمْزَةِ، وَعَلِيٍّ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْـدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَزَيْدِ بنِ حَارِثَةَ، وَمُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمَة و.....

٢ ـ القَادَةُ الَّذِينَ أُوكِلَتْ إِلَيْهِمْ مُهِمَّةٌ لِلْقِيَامِ بِقِيَادَةِ سَرِيَّةٍ مِنَ السَّرَايَا أَمْثَالِ: سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالحَمْزَةِ بنِ عَبْدِالمُطَّلِبِ، وَعُبَيْدَة بنِ الحَارِثِ، وَزَيْدِ بنِ حَارِثَةَ، وَبَشِيرِ بنِ سَعْدٍ.

٣ ـ الأَثْرِيَاءُ الَّذِينَ وَهَبُوا الدَّعْوَةَ كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ أَمْوَالٍ فَجَعَلُوهَا تَحْتَ تَصَرُّفِ القَائِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَصَرَّفُ بِهَا كَيْفَ يَشَاءُ لِصَالِحِ الدَّعْوَةِ فِي الجِهَادِ وَالعَمَلِ أَمْثَالِ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، وَعَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ، وَسَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ و. . . . .

٤ ـ الشُّعَرَاءُ الَّذِينَ يُنَافِحُونَ عَنِ الدَّعْوَةِ وَيَرُدُّونَ عَلَى خُصُومِهَا، وَيَفْخَرُونَ بِإِسْلَامِهِمْ وَبِمِنْهَجِهِ وَبِرَسُولِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمْثَالِ: حَسَّانِ بنِ ثَابِتٍ، وَعَبْدِاللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ.

ثَالِثاً: أَمَّا مَرْحَلَةُ التَّوَسُّعِ، وَهِيَ المَرْحَلَةُ الَّتِي امْتَدَّتْ مِنْ بَعْدِ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ حَتَّى نِهَايَةِ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتُعَدُّ تَتِمَّةً لِلْمَرْحَلَةِ السَّابِقَةِ، وَلَكِنْ زَادَ عَلَيْهَا ظُهُورُ بَعْضِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ وَتَسَلَّمُوا مُهِمَّاتٍ قِيَادِيَّةٍ لِمَا

لَهُمْ مِنْ خِبْـرَاتٍ عَسْكَرِيَّـةٍ وَمَعْـرِفَـةٍ فِي شُؤُونِ الحَـرْبِ مِثْـلِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، وَعَمْرِو بنِ العَاصِ.

رَابِعَاً: وَفِي مَرْحَلَةِ الفَتْحِ والامْتِدَادِ فِي العَهْدِ الرَّاشِدِيِّ فَقَدْ بَرَزَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَسَلَّمُوا مَنَاصِبَ سِيَاسِيَّةٍ كَالخُلَفَاءِ وَالَّذِينَ كَانُوا فِي مَوْضِعِ الاسْتِشَارَةِ أَمْثَالِ: أَبِي عُبَيْـدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وَعَبْـدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرِ بنِ العَـوَّامِ، وَطَلْحَةَ بنِ عُبَيْـدِاللَّهِ، وَسَعْـدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيـدِ بنِ زَيْدٍ، وَأُسَيْـدِ بنِ حُضَيْـرٍ، وَزَيْـدِ بنِ ثَابِتٍ، وَمُحَمَّـدِ بنِ مَسْلَمَةَ، وَأُسَـامَةَ بنِ زَيْـدٍ، وَأَبِي مُـوسَى الأَشْعَرِيِّ و.... وَكَـذَلِكَ القَـادَةُ الَّذِينَ أُوكِلَتْ إِلَيْهِمْ مُهِمَّةُ قِتَالِ الأَعْدَاءِ مِنْ مُرْتَدِّينَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ وَأَعْدَاءٍ خَارِجَ الجَزِيرَةِ مِثْلِ: عُبَيْدَةَ بنِ الجَرّاحِ، وَأُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ، وَخَالِدِ بنِ الـوَلِيـدِ، وَعَمْـرِو بنِ العَـاصِ، وَيَـزِيـدَ بنِ أَبِي سُفْيَـانَ، وَشُـرَحْبِيلَ بنِ حَسَنَـةَ، وَخَالِـدِ بنِ سَعِيدٍ، وَعِيَـاضِ بنِ غَنْمٍ، وَالنُّعْمَـانِ بـنِ مُقْـرِّنٍ، وَالقَعْقَـاعِ بنِ عَمْـرٍو التَّمِيمِيِّ وَأَخِيـهِ عَـاصِمٍ، وَالمُهَاجِـرِ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ، وَعِكْـرِمَـةَ بنِ أَبِي جهـلٍ، وَهَـاشِمِ بنِ عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّـاصٍ و..... وَهَكَذَا انْحَصَـرَتْ شُهْرَةُ الرِّجالِ فِي الإِدَارَةِ وَقِيادَةِ الجُيُوشِ.

خَامِساً: أَمَّا مَرْحَلَةُ الامْتِدَادِ فِي العَهْدِ الأُمَوِيِّ فَإِنَّـهُ قَدْ بَـرَزَ

الـخُـلَفَـاءُ والـقُـوَّادُ أَمْثَـالِ: مُـوسَـى بـنُ نُـصَـيْـرٍ، وَمَسْلَمَةُ بنُ عَبْدِالمَلِكِ، وَمُحَمَّدُ بنُ القَاسِمِ الثَّقَفِيُّ، وَقُتَيْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ البَاهِلِيُّ، وَحَبِيبُ بنُ مَسْلَمَةَ و. . . . .

وَبَرَزَ الوُلَاةُ وَخَاصَّةً وُلَاةَ العِـرَاقَيْنِ لِشِدَّةِ أَهْلِهِمَا وَمِنْ هَؤُلَاءِ الـوُلَاةِ زِيَادُ بنُ أَبِيـهِ، وَعُبَيْـدُاللَّهِ بنُ زِيَـادٍ، وَالمُخْتَـارُ الثَّقَفِيُّ، وَمُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ، وَالحَجَّاجُ بنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ، وَالمُهَلَّبُ بنُ أَبِي صُفْرَةَ، وَابْنُهُ يَزِيدُ، وَخَـالِدُ بنُ عَبْـدِاللَّهِ القَسْرِيُّ، وَأَخُـوهُ أَسَـدٌ، كَمَا عُـرِفَ مِنَ الوُلَاةِ نَصْـرُ بنُ سَيَّـار وَالِي خُـرَاسَـانَ، وَكَذَلِكَ وُلَاةُ إِفْرِيقِيَّةَ وَالأَنْدَلُسَ نَتِيجَةَ الفُتُوحَاتِ أمثال: عُقْبَةَ بنِ نَـافِـعٍ، وَحَسَّـانَ بنِ النُّعْمَـانِ، وَمُـوسَى بنِ نُصَيْـرٍ، وَابْنِـهِ عَبْـدِالعَـزِيـزِ بنِ مُـوسَى، والسَّمْـحِ بنِ مَـالِـكٍ الخَـوْلَانيّ، وَعَنْبَسَةَ بنِ سُحَيْمٍ الكَلْبِيِّ، وَعَبْدِالرَّحْمَنِ الغَافِقِيِّ.

كَمَـا ظَهَـرَ العُلَمَـاءُ نَتِيجَـةَ تَـدْوِينِ الحَـدِيثِ، والتَّفْسِيـرِ، والاشْتِغَالِ بِعُلُومِ الفِقْهِ، فَظَهَرَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ، وَالزُّهْـرِيُّ، وَالقَاسِمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ و. . . .

وَظَهَرَ الشُّعَرَاءُ وَبَرَزَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ النَّقَائِضِ أَمْثَالِ جَـرِيرٍ، وَالفَـرَزْدَقِ وَالأَخْطَلِ، وَأُولَئِـكَ الَّذِينَ اعْتَـادُوا مَدْحَ الخُلَفَـاءِ، وَهِجاءَ خُصُومِهِمْ أو الوَصْفَ وَالغَزَلَ.

سَادِسَاً: وَلَمَّا تَوَقَّفَتِ الفُتُوحَاتُ فِي عَهْدِ العَبَّاسِيينَ لَمْ يَعُدْ أَثَرٌ لِلوُلَاةِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ أُمُورَ الفَتْحِ وَالجِهَادِ فِي وِلَايَاتِهِمْ، كَمَا لَمْ يَعُدْ يَسْتَدْعِي الأَمْرُ لِظُهُورِ القَادَةِ، وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ الأَمْرُ عَلَى الخُلَفَاءِ وَبَعْضِ العَسْكَرِيينَ الَّذِينَ يُسَيْطِرُونَ عَلَى مَرْكَزِ الخِلَافَةِ، وَبَعْضِ الوُلَاةِ الَّذِينَ يَسْتَقِلُّونَ فِي وِلَايَاتِهِمْ وَيُؤَسِّسُونَ دُوَيْلَاتٍ خَاصَّةً بِأُسَرِهِمْ، وَالَّذِينَ وَقَفُوا فِي وَجْهِ الغُزَاةِ الصَّلِيبِيينَ وَالمَغُولَ، أَمْثَالِ: مَحْمُودِ الغَزْنَوِيِّ، وَطَاهِرِ بنِ الحُسَيْنِ، وَمَحْمُودِ نُورِالدِّينِ زِنْكِي، وَوَالِدِهِ عِمَادِ الدِّينِ، وَصَلَاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِيِّ، وَسَيْفِ الدِّينِ قُطُزْ، وَالظَّاهِرِ بِيَبْرسِ، وَمُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُونَ، وَالظَّاهِرِ بَرْقُوقٍ و. . . وَهَذَا مَا عُرِفَ بِالتَّارِيخِ السِّيَاسِيِّ.

أَمَّا العُلَمَاءُ، وَالشُّعَرَاءُ فَقَدْ بَرَزَ أَعْدَادٌ مِنْهُمْ وَدُرِجُوا فِي عَدَادِ مَوْضُوعَاتِ التَّارِيخِ الحَضَارِيِّ. وَمَهْمَا قِيلَ فَإِنَّ دِرَاسَةَ التَّارِيخِ السِّيَاسِيِّ هُوَ الغَالِبُ، وَأَنَّهُ لَا يُعْطِي صُورَةً صَحِيحَةً عَنْ وَاقِعِ المُجْتَمَعِ وَهَذَا مَا يُلِحُّ عَلَيْهِ وَيُؤَكِّدُهُ عُلَمَاءُ الاجْتِمَاعِ وَحَتَّى لَوْ أَضَفْنَا إِلَيْهِ التَّارِيخَ الحَضَارِيَّ فَلَنْ تَتَكَامَلَ الصُّورَةُ الصَّحِيحَةُ عَنِ المُجْتَمَعِ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُ النَّاسَ يَعُدُّونَ الدِّرَاسَةَ التَّارِيخِيَّةَ بِصُورَتِهَا القَائِمَةِ نَاقِصَةً وَلَا تُحَقِّقُ الغَرَضَ المَطْلُوبَ مِنْهَا بِشَكْلٍ تَامٍّ وَمُفِيدٍ، وَلَنْ تُؤْخَذَ مِنْهَا العِبْرَةُ بِصُورَةٍ دَقِيقَةٍ.

إِنَّهُ لَنْ يَبْرُزَ فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنَ المَرَاحِلِ سِوَى مَا ذَكَرْنَا رَغْمَ أَنَّ بَعْضَ الرِّجَالِ قَدْ يَقُومُونَ بِدَوْرٍ فَعَّالٍ جِداً وَلَكِنْ لَنْ يَظْهَرُوا عَلَى السَّطْحِ وَلاَ يُعْرَفُونَ مِنْ قِبَلِ أَكْثَرِ النَّاسِ، وَإِنَّمَا تَقْتَصِرُ مَعْرِفَتُهُمْ عَلَى فِئَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَهِيَ الَّتِي تُحَاوِلُ التَّعَمُّقَ فِي الدِّرَاسَةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا. وَمِنْ هَؤُلاَءِ مَرْثَدُ بنُ أَبِي مَرْثَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَدْ عَاشَ فِي مَرْحَلَتَيْ بَدْءِ الدَّعْوَةِ وَتَأْسِيسِ الدَّوْلَةِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ العَنَاصِرِ الَّتِي عَدَدْنَاهَا، مَعَ أَنَّهُ قَدْ أَدَّى دَوْراً كَبِيراً وَفَعَّالاً فِي كِلاَ المَرْحَلَتَيْنِ.

إِنَّ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَعْمَلُوا لِيَظْهَرُوا، بَلْ لاَ يُحِبُّونَ الظُّهُورَ، وَلاَ يُرِيدُونَهُ، وَإِنَّمَا يَعْمَلُونَ لِلَّهِ، وَيَرْغَبُونَ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا خَالِصَةً لَهُ، وَلَكِنْ كَانَتْ بَعْضُ أَدْوَارِهِم الَّتِي يُؤَدُّونَهَا يَحْفَظُهَا التَّارِيخُ لَهُمْ فَيَبْرُزُونَ وَيُعْرَفُونَ بِهَا، وَلِقِيمَةِ الأَدْوَارِ وَكَثْرَتِهَا يَطْغَى بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، أَوْ يُنْسَى بَعْضُهَا. وَمِنَ الَّذِينَ عَاشُوا بِبُنْيَانِهِم الضَّخْمِ بِجِوَارِ أَبْنِيَةِ إِخْوَانِهِمْ الشَّامِخَةِ مَرْثَدُ بنُ أَبِي مَرْثَد الغَنَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مرثد بن أبي مرثد

هُوَ مَرْثَدُ بنُ كَنَّازِ بنِ الحُصَيْنِ بنِ يَرْبُوعٍ مِنْ مُضَرٍ، وَاشْتَهَرَ كَنَّازُ بِكِنْيَتِهِ وَعُرِفَ بِهَا، وَقَدْ نَزَلَ مَكَّةَ، وَأَقَامَ فِيْهَا، وَحَالَفَ الحَمْزَةَ بنَ عَبْدِالمُطَّلِبِ الهَاشِمِيَّ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ تِرْبَاً لَهُ. وَكَانَ رَجُلاً طُوَالاً كَثِيرَ شَعْرِ الرَّأْسِ، وَتَزَوَّجَ وَأَنْجَبَ، وَكَانَ مَرْثَدُ أَكْبَرَ أَوْلَادِهِ، وَبِهِ يُكَنَّى، وَاشْتَهَرَ بِذَلِكَ، حَتَّى كَادَ أَنْ يُنْسَى اسْمُهُ.

أَسْلَمَ كَنَّازُ بَعْدَ إِسْلَامِ الحَمْزَةِ بِقَلِيلٍ، وَلَمْ يَنَلِ الكَثِيرَ مِنَ العَذَابِ لِمَكَانَتِهِ مِنَ الحَمْزَةِ، وَلِمَكَانَةِ الحَمْزَةِ مِنْ قُرَيْشٍ وَقُوَّتِهِ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ.

وَهَاجَرَ كَنَّازُ إِلَى المَدِينَةِ وَنَزَلَ مَعَ ابْنِهِ مَرْثَدٍ عَلَى كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّهُمَا نَزَلَا عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ. وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ أَبِي مَرْثَدٍ وَبَيْنَ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ وَشَهِدَ بَدْرَاً وَأُحُدَاً وَالخَنْدَقَ وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ مِنَ الغَزَوَاتِ، وَإِنَّمَا كَانَ مِن أَوَائِلِ الَّذِينَ يَنْطَلِقُون مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلْجِهَادِ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

وَمَاتَ كَنَّازٌ بِالمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابنُ سِتٍّ وَسِتِّينَ سَنَةً.

وُلِدَ مَرْثَدُ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَالعِشْرِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَأَسْلَمَ مَعَ أَبِيهِ فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ لِلْبِعْثَةِ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَذَاكَ ما يَقْرُبُ مِنَ العِشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَ حَلِيفَ الحَمْزَةِ كَأَبِيهِ.

هَاجَرَ مَرْثَدُ مَعَ أَبِيهِ وَنَزَلَا عَلَى كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ، وَقِيلَ بَلْ عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ. وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْسِ بنِ الصَّامِتِ أَخِي عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ.

وَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ خَرَجَ فِيهَا، وَكَانَ ثَانِي فَارِسَيْنِ مَعَ المُسْلِمِينَ إِذْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ سِوَاهُمَا هُوَ وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ. وَكَانَتْ فَرَسُهُ الَّتِي مَعَهُ يَوْمَذَاكَ تُدْعَى السَّبَلَ.

وَشَهِدَ أُحُداً وَكَانَ مِنْ رِجَالَاتِهَا.

الشَّهَادَةُ

طَمِعَتِ الأَعْرابُ فِي المُسْلِمِينَ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ، فَقَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ وَالقَارَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمَدِينَةِ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فِينَا إِسْلَاماً فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَراً

مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَنَا فِي الدِّينِ، وَيُقْرِئُونَنَا القُرْآنَ، وَيُعَلِّمُونَنَا شَرَائِعَ الإِسْلَامِ. وَفِي الوَاقِعِ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الغَدْرَ وَلاَ يَرْغَبُونَ فِي الإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُمْ لَجَؤُوا إِلَى الحِيلَةِ وَالخِدَاعِ نَتِيجَةَ جُبْنِهِمْ.

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَفَراً مِنْ أَصْحَابِهِ(١)، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ مَرْثَدَ بنَ أَبِي مَرْثَدٍ، وَقِيلَ: بَلْ عَاصِمَ بنَ ثَابِتٍ كَانَ أَمِيرَ القَوْمِ. وَخَرَجَ الصَّحَابَةُ مِنَ المَدِينَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا عَلَى الرَّجِيعِ، مَاءٍ لِهُذَيْلٍ بِنَاحِيَةِ الحِجَازِ، عَلَى صُدُورِ الهَدْأَةِ غَدَرُوا بِهِمْ، وَاسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلاً، وَبَيْنَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ فِي رِحَالِهِمْ آمِنِينَ، إِذْ بِالأَعْدَاءِ يُحِيطُونَ بِهِمْ وَبِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفَ، فَامْتَشَقَ الصَّحَابَةُ سُيُوفَهُمْ لِيُقَاتِلُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ شَيْئاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لاَ نَقْتُلَكُمْ. وَوَجَدَ الصَّحَابَةُ أَنْفُسَهُمْ قِلَّةً قَلِيلَةً أَمَامَ كَثْرَةٍ كَثِيرَةٍ، فَمَالَتْ نُفُوسُ بَعْضِهِمْ إِلَى الحَيَاةِ.

أَمَّا مَرْثَدُ بنُ أَبِي مَرْثَدٍ، وَعَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ، وَخَالِدُ بنُ البُكَيْرِ

---

(١) قيل ستة نفر، وقيل عشرة.

فَقَـالُوا: وَاللَّهِ لاَ نَقْبَـلُ مِـنْ مُشْرِكٍ عَهْـداً وَلاَ عَقْـداً، فَحَمَلُوا بِسُيُوفِهِمْ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَقَاتَلُوا حَتَّى قُتِلُوا.

وَأَمَّا زَيْدُ بنُ الدَّثِنَةِ، وَخُـبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ طَارِقٍ فَلاَنُوا وَرَقُّوا وَرَغِبُوا فِي الحَيَاةِ، فَأَعْطَـوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَأَسَرُوهُمْ، وَخَرَجُوا بِهِمْ لِيَبِيعُوهُمْ فِي مَكَّةَ، وَفِي الظَّهْرَانِ أُفْلِتَ عَبْدَاللَّهِ بنُ طَارِقٍ مِنْ قَيْـدِهِ، وَأَخَذَ سَيْفَـهُ وَابْتَعَـدَ عَـنِ القَـوْمِ فَـرَمَوْهُ بِـالحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَبِيـعَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ بِـأَسِيرَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ كَانَا بِمَكَّةَ، وَقُتِلاَ بَحَادِثَتَيْنِ مُرَوِّعَتَيْنِ.

اسْتُشْهِـدَ مَرْثَـدُ بـنُ أَبِي مَـرْثَـدٍ فِي أَوَاخِـرِ السَّنَـةِ الثَّـالِثَـةِ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَذَاكَ إِحْدَى وَثَلاَثِينَ سَنَةً. وَعَـاشَ أَبُوهُ بَعْدَهُ تِسْعَ سَنَوَاتٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.